جدران رحيمة حارسة من صوت الحياة

إعداد
د. أروى علي أخضر
متخصصة في تعليم وتأهيل الأشخاص ذوي الاعاقة

يُعد الصوت أحد العوامل الحسية الأساسية التي تؤثر في جودة حياة الإنسان، فهو يمثّل جسرًا للتفاعل بين الفرد ومحيطه، لما له من دور مباشر في التواصل، والانتباه، والإدراك، وحينما نتحدث عن الأشخاص ذوي الإعاقة، يمكن أن يكون الصوت عامل دعم وتمكين، أو مصدر إزعاج وتحدٍّ، بحسب طبيعة البيئة المحيطة ومدى ملاءمتها لاحتياجاتهم الحسية.

في هذا المقال أستعرض ثلاث فئات من ذوي الإعاقة - أرى - أنهم أكثر تأثراً بالصوت، وهم الإعاقة السمعية، ذوي اضطراب طيف التوحد، والاعاقة البصرية، ومع اختلاف الفئات الثلاث عن بعضهم في نوع الإعاقة وخصائصهم واحتياجاتهم؛ إلا أنني سأركز على القاسم المشترك بينهم في جودة الصوت وأهمية العوازل الصوتية في حياتهم. وذلك بأننا كلما ضبطنا البيئة الصوتية وتحكمنا بها بما يتناسب مع خصائصهم واحتياجاتهم، أشعرناهم بالراحة، والاستقرار.

تمثل "العوازل الصوتية" أحد أهم العناصر الأساسية في تصميم البيئات التعليمية والعلاجية والمكانية المهيأة للأشخاص ذوي الإعاقة؛ لما لها من أثر مباشر في تقليل الضوضاء وتحسين مستوى التركيز والتفاعل؛ كونها تُستخدم في تقليل انتقال الأصوات بين الأماكن، وتعمل على امتصاص الضجيج داخل المكان نفسه، بهدف توفير بيئة هادئة ومريحة صوتيًا.

تؤثر البيئات الصاخبة حتماً على عملية الاستماع الجيد، فالأصوات ذات الضوضاء العالية أو الأصوات المشوشة مع وبوجود المعينات السمعية، أو الأشخاص زارعي القوقعة من ذوي الإعاقة السمعية تتسبب في إرهاقهم السمعي، ويعيق من تمييزهم للكلمات مما يجعل فهم الكلام صعبًا عليهم فقد تساعد العوازل الصوتية، ذوي الإعاقة السمعية على تقليل الأصوات الخلفية، مما يجعل الأصوات المهمة أكثر وضوحًا، وتُساهم في تحسين فهمهم للكلام. وتحسين جودة السمع لديهم داخل الفصول الدراسية أو المنازل أو المراكز التأهيلية وتقليل الجهد الذهني عليهم؛ مما يساعدهم على التركيز والتواصل بفاعلية أكبر، وبالتالي تحسين جودة حياتهم.

وبالنسبة لذوي اضطراب طيف التوحد، فإن الأصوات تُعد من أبرز المثيرات الحسية لديهم كونهم يعانون من فرط الحساسية السمعية تجاه الأصوات العالية (المزعجة)أو المفاجئة؛ الذي يتسبب في توترهم وقلقهم وانزعاجهم الشديد؛ لذا فإن البيئة الهادئة و الغرف المعزولة، تقلل من تشتتهم

وقلقهم الناتج عن الأصوات، وتساعد على تعزيز الشعور بالأمان والتركيز أثناء التعلم أو المشاركة في الأنشطة اليومية، والذي ينعكس حتماً على حياتهم الاجتماعية واستقرارهم النفسي.

أما بالنسبة للأشخاص ذوي الإعاقة البصرية، فيُشكل الصوت أداة الإدراك والتعويض عن فقدانهم للبصر، كما ويشكّل النافذة الأساسية للإدراك والتوجيه المكاني. فالأشخاص المكفوفين يعتمدون على الصوت في تكوين التصوّر الذهني عن المكان والزمان والأشخاص من حولهم. وإن الأصوات العالية أو المتداخلة قد تُسبب إرباكًا وتشويشًا، وتحدّ من قدرتهم على التمييز السمعي الدقيق، فالبيئة الصوتية لها دور كبير في تنقلهم بأمان وتجعلهم أكثر استقلالية؛ لذا فإن تنظيم البيئة الصوتية وتوزيع مصادر الصوت فيها بشكل واضح ومتوازن أمر مهم لهم.

وتعمل العوازل الصوتية على تحسين جودة الصوت في المكان مما يُسهم في دعم حاسة السمع التي يعتمدون عليها كثيرًا في الإدراك والتوجيه المكاني.

وختاماً فإن توفير بيئة صوتية مناسبة ليس ترفًا، بل هو حق أساسي من حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، يسهم في دعم اندماجهم وتمكينهم من التعلم والتواصل والمشاركة المجتمعية بفاعلية.

كما أن فهم تأثير الصوت على ذوي الإعاقات المختلفة يُعد خطوة أساسية نحو بناء بيئات تعليمية وتأهيلية شاملة. فالصوت ليس مجرد وسيلة سمعية، بل هو عنصر حسي ونفسي ومعرفي، يتطلب ضبطه وتوظيفه بعناية ليصبح أداة دعم وتمكين، لا مصدر إزعاج أو عائق أمام التعلم والتواصل، فالعوازل الصوتية ما هي إلا وسيلة فعالة لحماية الأذن من الأصوات المزعجة، وتعزيز الراحة السمعية في البيئات المختلفة.

كل صوت يحمل حكاية، وكل حكاية تمنح للحياة معنى جديدًا وحين نمنح ذوي الإعاقة بيئة صوتية هادئة فإننا نمنحهم حياة أجمل. الصوت هو الضوء الذي يُرشد الكفيف، والنبض الذي يسمعه الأصم، والصوت الصافي هو الذي يفتح باب الفهم لذوي التوحد، ويمنحهم الأمان والدفء.